

## البناء

## ثقافة وفنون

# «عصبة الخمسة»... حكاية رواد ترسخت موسيقاهم في ذاكرتنا الجماعية

## هدى ميقاتي عبر «خوابي الكلام»: الشاعر المسؤول قيمة... ولو غاب طويلاً



هدى ميقاتي

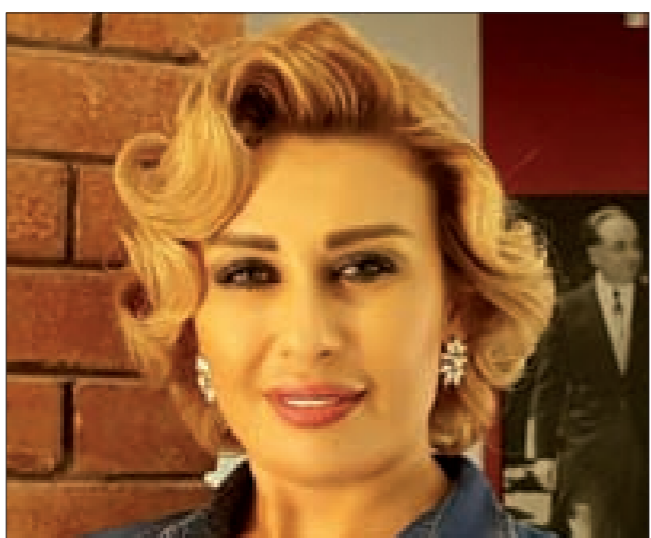
ومشرفة أكثرهما زاد الخراب. هدى في هذه الإطالة، وبعد غياب، فرضت علينا أن الشاعر المسؤول قيمة لو غاب طويلاً، ولمجرّد إطلالة واحدة بيزيل الغباش، ويتربّع في مكانه، وبالطبع يهرب المتطفل حينما ينطق الفاهم، وتشرق الشمس وتقبّ العتمة إلى حين تجلي الضوء. هدى ميقاتي وأمثالها من شعراء القضية والمحور الفاهم لأوجاعنا وعنقواننا وصبرنا وصرختنا وضحكنا ودماء أشجارنا ونهضة ترابنا المجدول بدماء الشهداء وأقدام المقاومين، وجب ألا نغيّبهم في إعلاننا مهما كانت عقداً مريضاً، وغيّرنا من نجاح غيرنا عارمة. المثقف المسؤول واجب علينا أن نعطي مساحة كي يساندنا، لا أن نشارك أهل العتمة بظلامية حضورهم.

شكراً هدى ميقاتي على هذا الحضور الناضج، والمنعش لذاكرة جميلة رغم الشوك. شكراً لسنوي كلامك، رودك، ووضوح الذي أعادنا إلى احترام ذاتنا رغم إحصار الفوضى فينا. شكراً لأنك تؤمنين بالجمال، وجنوح أدمعنا الإيمان، وهروب المثقفين إلى المجهول كي لا يتحملوا المسؤولية.

هدى ميقاتي الأتية إلينا من هجرة الكلام لن نسمح بغيابك أكثر، ولن نقبل بأن تسيرنا زحمة الحياة بالابتعاد عن مجموعة مثقفة وفتية ذات قيمة، ولا ترسبها في صفحاتنا، أو ما تبقى لنا من سطور في صفحات تؤمن بقيمة الكلمة والموافق. الشاعرة هدى ميقاتي في حضورها اليوم، تنعشنا في «خوابي الكلام» وتعود والشفقة، وترسم سنابلها بريشة من ذهب الذاكرة، وتلون حباتها بأخضر المواقف من حرارة الأحرف الغنية بصبر التعب، وحجّ الانتظار الجميل الحالم بالأفضل.

أن تكون هي مناسبة الوطن. تعرف قيمة دورها كشاعرة مكرمة أفعالها الغياب، لن نبرّر هجرانها للتواصل على البحر الطويل بعمر السنوات السبع، ومن دون أن تعلم أنها كتبت الشعر، والدها لم يصحّ لها بل أخبرها أنها شاعرة بالظفر، فسارت في نهر الشعر حتى اكتشفت بحوره وأمواجه ورمال شواطئه. تؤمن هدى بحبّ الوطن لكونه الحبّ الأكبر، ويشمل كل أنواع الحبّ. وتتعلّق بالكتابة ملجأها، ولا تفرّج لديها حتى تكتب كما يدعي البعض. وحينما تخاطبها الفكرة تختزل الأمثلة، وترتك سيراتها لتفوح في حبر البوح، وتؤمن بتجاوز الناس معها، وتعتبره ميزانها وتكرّمها. شاركت في غالبية مهرجانات الثقافات العربية، لكنها تحنّ لمهرجانات المغرب، وأجواء المغرب الرائعة، وتعشق الجنوب اللبناني كيباض القلوب الوفية، شفاقة كما عهدنا بها، وغنية بالمواقف والذاكرة الجيلة من دون تجريح وتطاول، كاني بها من زمن آخر لا علاقة له بزماننا.

هدى ميقاتي في هذا الحوار، هامة لا تحبّ الصراخ، ناصعة تعترّل الظهور الإعلامي أحياناً بإرادتها، لكنها تكتب الشعر في كل لحظة، تلبس الشجر المحروق فيلبسها عناد أزرها كما قالت. تشرّب الماء لتروي أرضها، تعانق السماء لتسرع أحلامها. هدى ميقاتي في هذا الحوار، هامة لا تحبّ الصراخ، ناصعة تعترّل الظهور الإعلامي أحياناً بإرادتها، لكنها تكتب الشعر في كل لحظة، تلبس الشجر المحروق فيلبسها عناد أزرها كما قالت. تشرّب الماء لتروي أرضها، تعانق السماء لتسرع أحلامها.



عبير شرارة



عبد الغني شعبان



توفيق الباشا



زكي ناصيف



منصور الرحباني



عاصي الرحباني

يقول لجنة المهرجانات أصدرت تكليفاً لعاصي الرحباني بإحياء الليالي اللبنانية، وهو من اتصل بي وفاتحني بالأمر. فقدمنا في المهرجان الأول «أيام الحصاد»، وفي المهرجان الثاني 1959 كانت «المحكمة». وأجيت العصبة «عرس الضيعة» في مهرجانات بعلبك، وسرعان ما وقع الطلاق.

وصلنا إلى نهاية آب عام 1957، موعد تدشين «عصبة الخمسة» انطلاق الليالي اللبنانية الأولى في مهرجانات بعلبك الدولية بعمل فولكلوري عنوانه «أيام الحصاد»، وهو مشهدة فولكلورية عن «عرس الضيعة»، والمعروف أنه حتى ذلك التاريخ كانت مهرجانات بعلبك مختصرة على عروض إجنبية تقدمها فرق عالمية. وهو أول عمل مسرحي لرحباني مع فيروز في تلك الليالي البعلبكية. يومذاك فيروز في تلك الليالي البعلبكية. يومذاك فيروز في تلك الليالي البعلبكية. يومذاك فيروز في تلك الليالي البعلبكية.

أراد المخرج صبري الشريف إحداث صدمة إيجابية عند الجمهور، فعد إلى إظهار فيروز وهي تقف على أحد أعمدة القلعة مضادة باللون الأزرق من كل الجوانب، لتصدح بأغنية «لبنان يا أخضر حلو». فكان صدى المشهد صاعقاً على الجمهور، وعلا التصفيق في موجة من النثر العاطفي، لتنتها المقدمة «هالينا»، وطلوا حياطيناً طولاً، ورقصة «مشق الزعורה»، وكانت الرقصات من تصميم وتدريب وديعة حداد ومرّوان جرار، وغنت فيروز: «لبنان يا أخضر حلو»، ثم «لوحة الحصاد»، ومشهد العودة من «المقع».

توقفت المهرجانات عام 1958 بسبب أحداث تلك السنة، وتجذّدت الليالي اللبنانية في الصيف التالي 1959، في عرض يحاكي العرض الأول. وفي الموسم التالي، وكما كل الأمور الجميلة، انفرط العقد وحلّت الشراكة، وانفصل الأخوان رحباني عن توفيق الباشا وزكي ناصيف، وشهدت الصحافة التي واكبت هذا التحول منافسة شديدة بلغت حدّ العداوة.

وهكذا، وقع الطلاق، وانفردت العصبة لتصبح «صبتين»، مؤسسة الرحبانية مع فيروز وصبري الشريف، وفرقة الأنوار، مع سعيد فريحة وزكي ناصيف وتوفيق الباشا... أما عبد الغني شعبان فحلّق منفرداً. وهذه قصة أخرى.

زكي ناصيف، توفيق الباشا، الأخوان الرحباني، عبد الغني شعبان، أعمدة البناء الأولى في صوغ حركة موسيقية لبنانية كان لها تأثيرها العميق في البلاد العربية كافة، وما زالوا يملؤون لحننا بآهاتهم التي ترسخت في ذاكرتنا الجماعية.

مستمدّين منها عناصر لنصيح أعمالاً صاغوها بعفويتهم لتصبح أعمالاً قومية ترتقي إلى مكانها اللائق. يضيف كريم: لا أحد مثل توفيق الباشا كان مهتماً للعمل على التطوير، فهومن الموسيقيين العرب القلائل الذين أجادوا علم الموسيقى بشغفه الشرقي والغربي.

أما الفنان زكي ناصيف، الذي يذكره أجداد إلى الابد ذكرى «عصبة الخمسة»، فهو وتقدير كثيرين من الموسيقيين والمهتمين بالحركة الموسيقية والغنائية في لبنان والعالم العربي، أحد أبرز مؤسسي الحركة الموسيقية في لبنان، فهو ساهم منذ نهاية ثلاثينات القرن الماضي في وضع الأسس والمقاييس التي تعتمد المهجة والمعلم والكفاءة كعوامل لآي عمل فني موسيقي ناجح.

وعن حكايته مع «عصبة الخمسة» يرويها في مقابلة مع الدكتور فكتور سكباب في كتاب «زكي ناصيف الموهوب العالم، الصادر عن «دار نلسن»، رداً على سؤال عن علاقته بـ«إذاعة الشرق الأدنى» ومن اتصل به. يأتي جواب ناصيف كالتالي: عام 1953، أخذني المرحوم خليل مكينة (خال المويستار توفيق الباشا) إلى مكتب «إذاعة الشرق الأدنى» وكان مقرها في شارع فينسيا، وعزّفت لي صبري الشريف. وكانت للأخوين رحباني علاقة بالإذاعة منذ سنتين أو ثلاث. على ما اظن كانا يلحّان لها. وخلال الفترة ما بين 1953 و1955، خصصنا بعض الأغاني للمجموعة (الكورس) بناءً لطلب صبري، ومنهم نصري شمس الدين، ميشال بريدي، حسن عبد النبي، خليل المير، سهام الهاشم، وشقيقها نهي (زوجة توفيق الباشا لاحقاً).

في الحديث الطويل، نلاحظ أن زكي ناصيف لم يشر إلى «عصبة الخمسة» كجموعه، فيقول إن صبري الشريف كان في المجموعة بفضل فيروز والأخوين الرحباني، واعتماداً عليهم وعلى صبري الشريف جاء تكليف اللجنة (مهرجانات بعلبك)، و«بحكم وجودنا أنا وتوفيق مع هذه المجموعة، كلفنا الاثنان في البرنامج، وكان عرس الضيعة».

ولكن، بدأ واضحاً التقارب بينه وبين صبري الشريف فيقول: «وقلت، قال صبري الشريف لي إن أضع له بعض الأغاني للمجموعة حتى يعني أفرادها منفردين فيزيدي دخلهم. فغني نصري خليل المير «يا عاشقة الورق». وعن مشاركته في مهرجانات بعلبك

التاسع عشر. «عصبة الخمسة» اللبنانية تلك كانت تتألف من: عاصي ومنصور الرحباني، زكي ناصيف، توفيق الباشا، وتوفيق سكر، ولديوا كلهم بين العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، إذ ولد زكي ناصيف عام 1916، وعاصي الرحباني عام 1923، وتوفيق الباشا عام 1924، ومنصور الرحباني عام 1925. (بعكس المعلومات التي تورّد خطأ أنّ فيلمون وهي وحليم الرومي من أعضاءها).

وأشار سكباب إلى أنه في تلك المرحلة، كان الثنائي الرحباني قد شرعاً يستكملان تكون العناصر الثقافية والفنية في شخصيتهما بين أنطلياس وظهور الثوب.

استكمالاً لسيرة «عصبة الخمسة»، يروي منصور الرحباني حكاية لقائه برئيس القسم الموسيقي في «إذاعة الشرق الأدنى» المخرج الفلسطيني صبري الشريف، ومن المعلوم أن «إذاعة الشرق الأدنى» كانت تابعة لوزارة الخارجية البريطانية. وتحدث من فلسطين (تتلقّت بين جنين، يافا، والقدس) قبل نقلها إلى قبرص، وجاء ذلك قبل حوالي شهرين من نكبة فلسطين في 15 أيار 1948.

عام 1956، وعلى إثر العدوان الثلاثي على قناة السويس وأقدام الموثقين العرب على الاستقالة، وكانوا جلهم من الفلسطينيين، اعتراضاً على العدوان الذي تقوده بريطانيا على مصر، ومن بينهم المخرج صبري الشريف يضيء الملحن توفيق الباشا على هذه الظاهرة الفنية في مقابلة أوردها المخرج محمد كريم في كتابه «كما عرفناهم»: عام 1953، عندما تفرّغنا للموسيقى وجمعنا العمل في «محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية»، وأخذنا عطاؤنا بنمو ويحتل مكانة. لقبنا بـ«عصبة الخمسة» تيمناً بالخمسة الكبار من الروس الذين استمعوا أو يجلعوا من موسيقاهم القومية موسيقى عالمية.

يمكن القول إن لقب «عصبة الخمسة» أطلقه علينا كبار الموسيقيين بعدما خصنا مجابهة قاسية مع التقليديين الذين أطلقوا علينا (على سبيل التحكم) لقب «عصبة الخمسة»، لكن الجولة الأخيرة كانت للتجديد الذي وضعت خطوطه الأساسية، ما دفع التقليديين إلى الاحتجاج بنا، وبحسب دستور العصبة الروسية، والكلام هنا لمحمد كريم.

اتجه هؤلاء الخمسة في موسيقاهم اتجاهاً قومياً معتمدين في مؤلفاتهم على الفولكلور والألحان الشعبية،

مع حلول الذكرى المئوية لولادة الفنان الراحل زكي ناصيف هذه السنة (1916/2016) وإقامة الاحتفالات التكريمية له، كثر الكلام عن «عصبة الخمسة الموسيقية»، الذي كان زكي ناصيف أحد أعضائها.

فما قصة هذه العصبة، ومن هم مؤسسوها، وما أهدافها وبروز نشاطها، وكيف انتهت؟

ما هو دور «إذاعة شرق الأدنى» والمخرج صبري الشريف مدير الدائرة الموسيقية الذي كشف سعيد عقل في لقاء تلفزيوني أنه كتب كرمي له قصيدة «غنيته مئة»؟

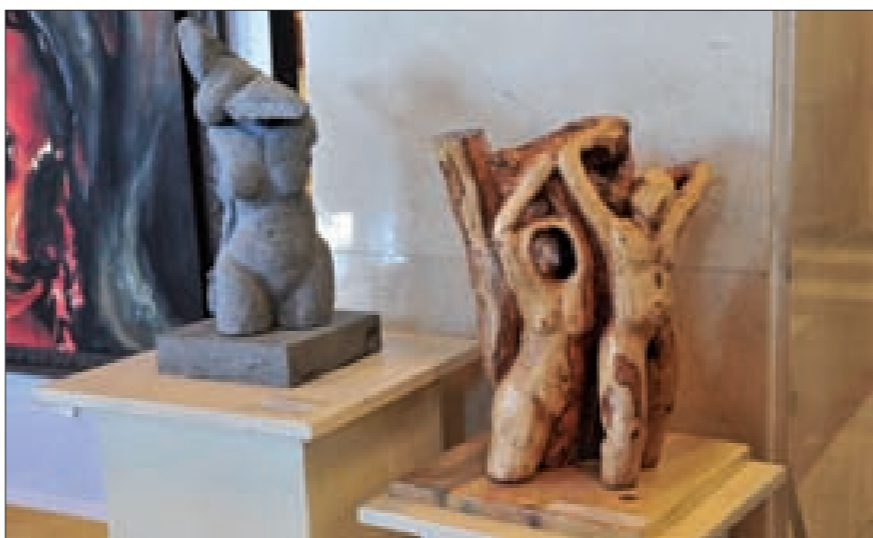
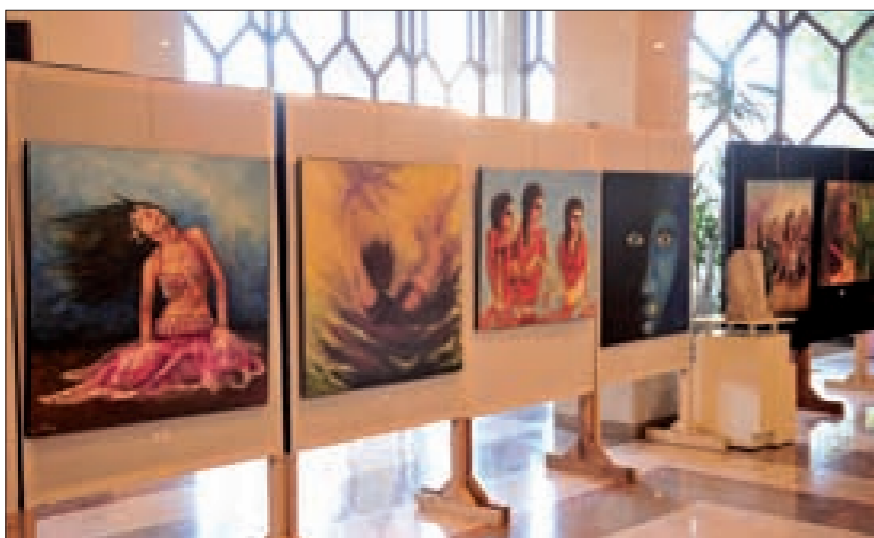
من أجل الإمام بتفاصيل الظروف التاريخية الحاضرة التي واكبت ولادة «عصبة الخمسة»، كان علينا العودة إلى مرويّات روادها قبل رحيلهم عن عالمنا.

لكن، لا بدّ وأن الوقوف على ما نأبى به المؤرّخ الموسيقي إلياس سكباب في هذا الحديث صحافي، يروي فيها حكاية رواد ترسخت موسيقاهم في ذاكرتنا الجماعية.

يقول سكباب في حديث إلى «السيّفر» في تموز 2013، في أربعينات القرن العشرين، وفي خضمّ ازدهار النهضة المعاصرة الثانية للموسيقى والأغنية العربية الكلاسيكية في القاهرة، التي تلت مرحلة النهضة الأولى للقرن التاسع عشر، بدأت تتفتح بين لبنان وفلسطين، ملامح تكون البذور الأولى لولادة الشخصية المميزة للأغنية العربية المشرقية، عبر جيل كان في مقدمته الفنانون: فيلمون وهي، نقولا المني، وسامي الصيداوي. في هذا الوقت كان ينمو ويتربّع في لبنان بعض أبناء الجيل الثاني الذي سيتولّى في ما بعد، أي منذ مطلع الخمسينات، مسؤولية مرحلة النهضة الكبرى للغناء والموسيقى في الشرق العربي، بعدما اجتمعت على أرض لبنان على إثر نكبة فلسطين عام 1948، مجموعة من الموسيقيين (بين ملحنين وعازفين)، الذين سيتبادلون الأنوار بعد ذلك والتعاون والتكامل، في إرساء النهضة الكبرى للموسيقى والغناء في الشرق العربي، التي ستلما عقود الخمسينات والستينات والسبعينات.

ويتابع سكباب: أما العناصر اللبنانية في هذه المجموعة، فقد كان يضمّهم ما عرف يومئذ باسم «عصبة الخمسة»، تيمناً بلقب «عصبة الخمسة الروسية»، التي كانت تضمّ كبار الموسيقيين الروس في نهاية القرن

## إبداعات سورية وعربية تضيء دار الأوبرا في دمشق



شذى حوّد - إيناس سفان

أكثر من خمسة وسبعين فنّاناً وفنّانة من مختلف أنحاء العالم العربي، أضأوا بلوحاتهم التشكيلية قاعة المعارض في دار الأوبرا، ضمن معرض فني بعنوان «تضوء السلام».

تضمن المعرض الذي تنظّمه محافظة دمشق بالتعاون مع «دار الأسد للثقافة والفنون»، نحو مئة لوحة تشكيلية عبر من خلالها الفنانون المشاركون عن أمانتهم بعودة السلام والأمن إلى ربوع العالم العربي، مستخدمين رموزاً عده منها الحمام الأبيض وعصن الزيتون ونور الشمس وإياسمين الشام، بأساليب مختلفة ومدارس فنية متعددة. وقال عضو المكتب التنفيذي في محافظة دمشق فيصل سرور إن المحافظة ترعى فعاليات ثقافية كهذه، بهدف إيصال رسالة السلام إلى العالم كله، من خلال مختلف أنواع الفنون، وإظهار بشاعة الحرب الإرهابية التي تتعرّض لها سورية. مشيراً إلى أهمية هذه الفعالية التي جمعت عدداً كبيراً من فنّاني العالم العربي الذين جاؤوا إلى سورية ليقدّموا لوحاتهم في رسالة مفادها: «الفن يجمعنا».

وأوضحت الفنانة التشكيلية لينا زرق منتظمة المعرض، أنه تمّ التحضير لهذا المعرض منذ أربعة أشهر، وشارك فيه فنانون عرب لإيصال رسالة إلى العالم بأن سورية بلد السلام والحبّ والحضارة والنقافة.

«وشوشات السلام»، جسّدت من خلالها امرأة إلى جانبها حمامة تهمس لها بالسلام وإياسمين الشام قريباً. ورأى الفنان الدكتور علي سليمان أن المعرض يعدّ تظاهرة فنية مهمة. موضحاً أن كل إنسان يعيش في سورية أو في لبنان أو في العراق، هو شمعته تحترق من دون سبب أو ذنب. وأنها بحاجة إلى هذه الشموع لمستقبل مضيء. مبيّناً أنه شارك بلوحتين عبّر من خلالها عن المستهدف الأول هو دماغ الإنسان.

وقالت الفنانة التشكيلية نجوى أحمد إن هذا المعرض مهم لكونه يضمّ فنّانين عرباً يعيشون الوجود نفسه، وأن أعمالنا فنّانين تشكيليين هو شمعته للسلام تضيء طريق النور. حيث جاءت مشاركتها من خلال لوحة واحدة مستخدمة فيها الزيت على القماش بأسلوبها الخاص المبدئي على مجموعة من مفردات التراثين السوري والإسلامي بطريقة معاصرة.

وجاءت مشاركة الفنان التشكيلي رامي الحاج حسن من خلال لوحتين من فنّ «البيرو» واللحن العربي بعنوان «شام أنت المجد»، مستخدماً أسلوب ورق البردي، ولوحة أخرى عن حروفيات الخط العربي وتكوينها وجمالياتها بطريقة الرسم على الماء، مغبراً عن سعاده بهذ المشاركة. وقدمت الفنانة التشكيلية اللبنانية إيفا هاشم لوحة جسّدت من خلالها حمام السلام الذي ينثر إلياسمين فوق ربوع سورية، مستخدمة الألوان الزيتية.

وقال الرسّام والشاعر نظير كوكاش من لبنان، أحد منظّمي المعرض، إن كل فنّان مشارك عبّر من خلال أعماله عن رسالته الفنية التي جسّدت السلام لأجل سورية بلاد العلم والحضارة التي ستبقى منارة للتاريخ رغم كل



الظروف الصعبة التي تمرّ بها. موضحاً أنه شارك بخمس لوحات بتقنيات الحبر الأزرق، وتعبر عن المعاناة والألم مع فسحة أمل وشموغ السلام.

كما أحيى الفنان الأوبرالي اللبناني غابريال عبد النور أمسية غنائية تضمّت أعمالاً فولكلورية للسيدة فيروز وزكي ناصيف وإيلي شويري، منها «يا شام عاد الصيف»، ومهما يتجرّح بلدنا، ويا لأمي» وغيرها.

وأدى عبد النور مجموعة من أغانيه الجديدة التي حيا فيها صمود سورية في وجه الإرهاب، منها «الجندي البطل» و«مدينة تاريخية حلب»، إضافة إلى أغنيته «لكنني الشام» التي صوّرها مؤخراً في الشام القديمة والتي تحمل عنوان هذه الأمسية وهي من كلمات سهام الشنشاع والحنا. وقال عبد النور في كلمة له: دمشق أرض المجد والحضارة والتاريخ، صامدة في وجه وحوش الأرض ومعتقداتهم الباطلة باسم الدين. جسّدت إلى دمشق مرة أخرى من لبنان بلد الأرز، لأحمل سورية بصوتني بعد حلب ومرة صيدنايا وطرطوس ودمشق، وأغني معكم في هذا الصرح الحضاري، لنقول السلام لغتنا والأخوة والمحبة والاتحاد ضدّ الهجمة التفرقة.

وتم في نهاية الأمسية، توزيع شهادات التقدير على عدد من الفنّانين المشاركين في الفعالية.

يشير إلى أن غابريال عبد النور مؤلّف موسيقي ومغنّ بعشرة لغات، وعازف بيانو مجاز يعلم النفس من جامعة الروح القدس - الكسليك، ومتخصّص في الغناء الأوبرالي والشرقي والتجويد، وهو أستاذ في الغناء الصوت وحاصل على عدد من الجوائز المحلية والعربية والعالمية، كما شارك في عدد من الأمسيات الغنائية داخل لبنان وخارجه، أطلق خلالها أربع أسطوانات غنائية.